الباب الأول

المقدمة

أ. خلفيّة البحث

تلعب الأدب العربي دورًا مهمًا في تمثيل الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي للمجتمع العربي. ومن بين الأشكال الأدبية المختلفة، تحتل القصيدة مكانة متميزة لما تمتاز به من قدرة على التعبير عن التجربة الإنسانية تعبيرًا عاطفيًا وتأمليًا. فالشعر العربي لا يعد مجرد وعاء جمالي فحسب، بل هو وسيلة للنضال والتأمل ونقل القيم الإنسانية. وفي سياق الشعب الفلسطيني، يكتسب الشعر بعدًا أعمق، إذ يصبح صوتًا للمقاومة ووعاءً للذاكرة الجماعية ورمزًا لثبات الهوية الوطنية في ظل الاحتلال والمعاناة المستمرة (Harlow, 1987; Jayyusi, 1992).

ومن جهة أخرى، قدم تطور النظرية الأدبية الحديثة منهجًا جديدًا يعرف بـ النقد البيئوي (*Ecocriticism*)، وهو منهج يعتبر الطبيعة ليست مجرد خلفية سلبية للأحداث، بل كيانًا فاعلًا يسهم في بناء المعنى والقيم الأخلاقية داخل النص الأدبي.

ويرى Greg Garrard (2012) أن النقد البيئي يسعى إلى فهم كيفية بناء النص الأدبي للعلاقة بين الإنسان والبيئة من خلال اللغة والرمز والصورة الطبيعية. وقد طرح خمس ثيمات رئيسية في النقد البيئوي، وهي :الرعوي (*Pastoral*)، السكن(*Dwelling*) ، البرية (*Wilderness*)، نهاية العالم (*Apocalypse*)، والأرض (*Earth*)، وهي موضوعات تعبّر عن تنوع طرائق الإنسان في إدراك الطبيعة، من الانسجام معها إلى الوعي بالخراب البيئي.

ولم يقتصر هذا المنهج على الدراسات الغربية فحسب، إذ ظهر في العالم العربي مصطلح نقد التبيؤ الذي قدمه عبد المجيد عبد الرحمن (2010)، ويقصد به النقد الأدبي البيئوي الذي يبرز أهمية النظر إلى النص الأدبي بوصفه ميدانًا للتفاعل بين النص والإنسان والبيئة.

ويرى أن هذا المنهج قادر على فتح آفاق جديدة لفهم الوظائف الجمالية والاجتماعية والبيئية للأدب العربي. كما يؤكد أن النقد البيئوي "لا يقتصر على حضور عناصر الطبيعة في النص، بل يدرس كيف تتحول الطبيعة إلى رؤية للعالم وفلسفة للجمال تتحد بوعي الإنسان". وتظهر هذه الفكرة مدى ملاءمة المنهج البيئوي في قراءة الأدب العربي الحديث، وخاصة شعر المقاومة الفلسطينية.

وفي هذا السياق، تحتل فدوى طوقان (١٩١٧-٢٠٠٣) مكانة بارزة، إذ تعد "صوت المرأة الفلسطينية" التي عبّرت بشعرها عن المعاناة الفردية والجماعية بعمق عاطفي وروحي. وتمتزج في قصائدها الآلام الشخصية بآلام وطنها، وتجعل من الطبيعة عنصرًا دلاليًا ومجازًا للمقاومة والثبات، لا مجرد زينة شعرية. فصور الطبيعة في شعرها كالأرض والسماء وشجرة الزيتون والجبل تجسد العلاقة الوجودية بين الإنسان ووطنه، وهي علاقة مشبعة بالمعاني البيئية والوطنية (Ghanem, 2016). فعلى سبيل المثال، تقول في قصيدتها "أوهام في الزيتون":

في السفح الغربي من جبل جرزيم
عند زيتونة مباركة
أُغمض على نفسي ظلالها

Intelligentia - Dignitas

في هذا المقطع، تظهر شجرة الزيتون لا بوصفها عنصرًا طبيعيًا فحسب، بل رمزًا للثبات والروحانية الفلسطينية. فظل الزيتونة يصبح مكانًا للجوء والذاكرة، ويجسد العلاقة الروحية بين الإنسان وأرضه. ومن خلال هذه الصور الطبيعية تبني فدوى طوقان وعيًا بيئيًا يعكس في الوقت نفسه الوعي الوطني؛ فالأرض تتحدث باسم الوطن، والشاعرة تصبح وسيطة تجسد صوت فلسطين من خلال انسجامها مع الطبيعة الطاهرة ذات الدلالة العميقة.

ومن منظور نظرية Greg Garrardالبيئوية، فإن العلاقة بين الإنسان والطبيعة في شعر فدوى طوقان تعبّر عن مفهومي السكن (*Dwelling*) والأرض (*Earth*)، حيث تمثل الطبيعة رمزًا للهوية والمقاومة والروحانية. وبذلك تؤدي قصيدة "أوهام في الزيتون" وظيفة مزدوجة: فهي نص أدبي ذو بعد بيئي، وفي الوقت نفسه تجلٍّ للمقاومة الثقافية والروحية للشعب الفلسطيني ضد القهر والاحتلال.

وتضيف مكانة فدوى طوقان كامرأة شاعرة بعدًا آخر في فهم النقد البيئوي في شعرها؛ فهي تقدم منظورًا أنثويًا يجمع بين التجربة البيئية والعاطفية والوطنية. وتتحول الطبيعة في شعرها إلى مرآة لنضال المرأة في الدفاع عن كرامتها وسط المجتمع الأبوي والاحتلال .(Al-Khalili, 2018; Najjar, 1992) ومن ثم، تظهر أعمالها أن الوعي البيئي لا ينفصل عن الوعي الجندري والسياسي.

ومع ذلك، فإنّ الدراسات السابقة التي تناولت شعر فدوى طوقان قد ركّزت في معظمها على الأبعاد السياسيّة والوطنيّة والجندريّة، دون إيلاء اهتمامٍ كافٍ للبعد البيئيّ بوصفه إطارًا نقديًّا مستقلًّا.

فقد تناولت نجدَة نجّار (1992) في دراستها المعنونة صوت المرأة في الشعر الفلسطيني المعاصر: فدوى طوقان أنموذجًا التجربة الشعريّة لفدوى طوقان من منظورٍ نسويّ، مركّزةً على معاناة المرأة الفلسطينيّة وصراعها الاجتماعيّ، دون تحليلٍ منهجيّ لصور الطبيعة من منظور النقد البيئيّ.

كما درست باربرا هارلو (1987) في كتابها أدب المقاومة *(Resistance Literature)* شعر فدوى طوقان في سياق النضال السياسيّ ومواجهة الاستعمار، حيث غلب البعد الأيديولوجيّ على التحليل، دون توظيفٍ صريحٍ لمنهج النقد البيئويّ في قراءة العناصر الطبيعيّة.

في حين تناولت عائشة الخليلي (2018) في بحثها المعنون الخطاب الأنثويّ في شعر المقاومة الفلسطينيّة البعد الجندريّ والهويّاتيّ في شعر فدوى طوقان، مؤكّدةً حضور الذات النسويّة، غير أنّ الدراسة لم تعتمد المقاربة الإيكوكريتيكيّة في تحليل تمثيلات الطبيعة.

وبناء على ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى سد هذه الثغرة من خلال توظيف نظرية النقد البيئوي لـ Greg Garrard إطارًا تحليليًا رئيسًا. وتسعى إلى الكشف عن المعاني البيئية والرمزية والوجودية في صور الطبيعة ضمن شعر فدوى طوقان، بالاعتماد على محاور Garrardالخمسة التي تشكل منهجًا منظمًا.

ومن المأمول أن تظهر هذه الدراسة أن الطبيعة في شعر فدوى طوقان ليست مجرد صورة جمالية، بل مصدر للقوة والهوية والأمل الجماعي للشعب الفلسطيني الذي ما زال يناضل من أجل بقائه على أرضه التي يحبها.

ب. تركيز البحث وفرعيته

يركز هذا البحث على صورة الطبيعة في شعر فدوى طوقان: دراسة في النقد البيئي (*Ecocriticism*) وفق نظرية Greg Garrard. أما فرعيته وهي:

١. اشكال الصورة الطبيعية في شعر فدوى طوقان
٢. .تحليل وتفسير الدلالات الرمزية والبيئية للصورة الطبيعية بالاستناد إلى نظرية النقد البيئي (*Ecocriticism*) لـGreg Garrard

ج. تنظيم المشكلة وأسئلة البحث

تتميّز قصائد فدوى طوقان بغنى الصور الطبيعية التي تعكس الصراع النفسي والمقاومة وحب الوطن. ولا تقتصر هذه الصور على الجماليات فقط، بل تحمل أيضًا نقدًا اجتماعيًا وبيئيًا. تهدف هذا البحث إلى تحليل تمثيل القضايا البيئية وعلاقة الإنسان بالبيئة من خلال نظرية النقد البيئي (*Ecocriticism*) لـGreg Garrard . أما أسئلة هذا البحث وهي:

١. ما أشكال صورة الطبيعة الواردة في قصائد فدوى طوقان؟
٢. كيف تفسر المعاني الرمزية والبيئية لتلك الصورة الطبيعية من خلال نظرية النقد البيئي (*Ecocriticism*) لـGreg Garrard ؟

د. أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

١. وصف أشكال صورة الطبيعة الواردة في قصائد فدوى طوقان.

Intelligentia - Dignitas

٢. تفسر المعاني الرمزية والبيئية لتلك الصورة الطبيعية من خلال نظرية النقد البيئي (*Ecocriticism*) لـGreg Garrard .

هـ. أهمية البحث

١. الأهمية النظرية

يتوقع ان يسهم هذا البحث في تطوير الدراسات عن النقد البيئي في الادب العربي الحديث، من خلال تطبيق نظرية Greg Garrard على أعمال فدوى طوقان. كما يوسع هذا البحث فهم تطبيقات مفاهيم النقد البيئي خارج السياق الادبي الغربي، ويبين كيفية توظيف المفاهيم البيئية لقراءة الادب الفلسطيني، ولا سيما الادب الذي يجسد العلاقة بين الطبيعة والهوية والوعي البيئي.

٢. الأهمية العملية

يتوقع ان يقدم هذا البحث فهما جديدا للعلاقة بين الشعر والطبيعة ونضال الشعب الفلسطيني. كما يمكن ان تشكل نتائجه مرجعا علميا للدراسات اللاحقة في مجالات الادب البيئي، والادب النسوي العربي، والدراسات ما بعد الاستعمار، مع التركيز على النقد البيئي في سياق الشرق الاوسط.

Intelligentia - Dignitas